الجغرافي الأديب الدكتور محمد عوض محمد
وروايته التاريخية "سنوحي"

Geographical writer Dr. Mohamed Awad Mohamed And his historical novel "Sinuhe"

محمد فتحي فرج *
mffbayomy@yahoo.com

ملخص:

يقدم المؤلف في هذا المقال قراءة جديدة للرواية الوحيدة التي نُسِجت خيوطها من واقع تاريخنا القديم على يد أحد رواد العلم والثقافة والمعرفة في وطننا العربي، وهو الجغرافي والكاتب والمترجم الكبير – وأحيانًا الشاعر – الدكتور محمد عوض محمد. وهي رواية تاريخية بعنوان "سنوحي" صدرت عام 1943.

كما تسلط الدراسة بعض الضوء على مؤلف الرواية الذي يمثل نموذجًا من أبرز روادنا علميًا وفكريًا وثقافيًا.

تنتمي رواية "سنوحي" إلى نوع من الأدب الإنساني، وهذا هو سر بقائها وخلودها، وسر التشابه الكائن بين أحداث الرواية وشخوصها، والأحداث والأشخاص الذين قد نواجههم في مرحلة أو مراحل تاريخية متعددة أيضًا. وقد قدمت هذه الورقة ملخصًا يتضمن الخطوط العريضة لهذه القصة التاريخية التي تعتبر درسا مؤثرا من دروس حب الوطن، والتمسك بترابه، والتعلق بحبه، والشوق الغامر إليه، خاصة في فترات الابتعاد عنه، ومن ثم التمسك بالعودة إليه رغم

* أستاذ بجامعتي المنوفية وجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

كل الصعوبات والتحديات. وفي النهاية قدم المؤلف بعض الملحوظات النقدية حول الرواية وساردها.

الكلمات المفتاحية: الرواية التاريخية "سنوحي"؛ قراءة نقدية للرواية؛ مؤلف الرواية د. محمد عوض محمد.

Abstract:

In this article, the author presents a new reading of the only novel whose threads were woven from the reality of the Egyptian ancient history by one of the pioneers of science, culture and knowledge in our Arab World. Dr. Muhammad Awad Muhammad is a great geographer, writer, translator and sometimes a poet. This novel is a historical one entitled "Sinuhe"; the first edition of which was issued in issue number 12 in the famous "Read" series in the December issue of 1943.

The study, also, sheds some light on the author of the novel, who represents an outstanding model from the most prominent generation of our pioneers in scientific, intellectual and cultural terms.

The story of "Sinuhe" belongs to a type of human literature that deals with the human soul, and this is the secret of its survival and immortality, and it is also the secret of the similarity that may occur between the events of the novel, and even its persons that we may encounter in a stage or multiple historical stages of events and persons as well. Meanwhile, this paper provided a summary that includes the main outlines of this historical novel. This novel is an influential lesson from the lessons of patriotism, adherence to the soil of the homeland, attachment to its love, and overwhelming longing for it, especially during periods of distance from it, and then adherence to returning to it regardless of the challenges and difficulties. Finally, the

author recorded some critical comments about the novel and its narrator.

Keywords: The historical novel "Sinuhe", a critical reading of the novel, the author of the novel, Dr. Mohamed Awad Mohamed.

مقدمة:

يتضمن هذا المقال قراءة جديدة للرواية الوحيدة التي نسج خيوطها من واقع تاريخنا القديم واحد من رواد العلم والثقافة والمعرفة في وطننا العربي، وهو الجغرافي الكبير، والأديب، والمترجم – وأحيانا الشاعر – الدكتور محمد عوض محمد. وهي إذن رواية تاريخية بعنوان "سنوحي"[1]، صدرت طبعتها الأولى بالعدد رقم 12 ضمن سلسلة "اقرأ" الشهيرة . التي تتواصل إصدارات كتبها حتى الآن . عدد ديسمبر سنة 1943.

د. محمد عوض محمد

وقد حاولت جاهدا أن أعثر لمؤلفها على صورة "فوتوغرافية" من خلال الشبكة الدولية للمعلومات لتتعرف الأجيال الجديدة على ملامحه، إلا أن محاولاتي كلها لم تسفر إلا عن صورة في حجم طابع البريد (!)، وهى التي نعرضها هنا، وصورة أخرى معبرة بريشة الفنان المصري المعروف محمد حجي، على الرغم من قيمة وقامة مؤلفها الدكتور عوض علما وثقافة ومكانة

أدبية مرموقة، حتى إنه مثل مصر في مؤتمر نادي القلم الدولي الذي عُقِد باليابان في سبعينيات القرن الماضي.

هل حقا يعيد التاريخ نفسه؟

أما الدافع الموضوعي من وراء عرض هذه الراوية فيتمثل في موضوعها الذي يرتبط بمصر وتاريخها، فالرواية من الجنس التاريخي، وحينما نقرأ هذه الرواية نرى تشابها كبيرا بين الحقبة التاريخية التي اختارها الدكتور محمد عوض وما نعايشه الآن من أحداث وظروف تمر بها بلادنا مصر المحروسة بإذن الله تعالى.

ورسالة الأدب الحقيقي الحيّ هي الاشتباك بالواقع بهدف المشاركة الإيجابية في رصده وتصويره، ومن ثم تطويره أو التأثير فيه بصورة أو بأخرى، وربما يعيدنا هذا مرة أخرى إلى قضية: هل الفن للفن أم الفن للمجتمع؟ أو إلى قضية الالتزام في الأدب التي ذهب أصحابها إلى أن للأدب . أو الفن بشكل عام . أغراضا اجتماعية تتمثل في التعبير عن مطالب المجتمع، وقيمه ومثله، والعمل على تنميته والحفاظ عليه وتطويره، وتهذيب نفوس أبنائه وشحذ هِمَمِهم تجاه كل ما من شأنه صالحهم وصالح وطنهم، وكل هذا بعيدا عن المباشرة والوعظ، أو الأسلوب الخطابي الإنشائي البعيد عن الأدب الحيّ، والجوهر الحقيقي للفن.

وإذا ما تحقق هذا أو بعضه فإنه قد يُعَدُّ في حد ذاته مقياسا لجودة هذا الفن ومدى قيامه برسالته في المجتمع الذي يَرُوج فيه، ولهذه النظرية . التي تثار بين وقت وآخر . جذور إغريقية منذ أن ربط سقراط (469 ق.م – 399 ق.م) بين الفن والأخلاق أو بين الجمال والمنفعة؛ إذ كان يعتبرُ أن الجمال هو ما يحقق خيرا عاما.

هذا، ولا يستطيع الأدب أن ينفصل عن المجتمع وقضاياه المُلِحَّة، لاسيما في الظروف التاريخية التي تتسم بالتوتر والتحول والتغير السريع؛ ومِن ثمَّ تأتي أهمية هذه الرواية من كونها مصرية خالصة تأليفا واستيحاء من التاريخ المصري القديم، ومن كونها أيضا تتقاطع . في جوانب كثيرة منها . مع ما مرت وتمر به البلاد الآن من ظروف سياسية واجتماعية، وكأن التاريخ فعلا يعيد نفسه!

الدكتور عوض بريشة الفنان

محمد حجي

"سنوحي" المصرية سبقت أختها الفنلندية:

وقد سبق الدكتور عوض بقصته التاريخية "سنوحي" رواية الكاتب الفنلندي مايكا تويمي وولتاري Mika Toimi Waltari (19سبتمبر 1908 – 26 أغسطس 1979) الذي كتبها هو الآخر تحت عنوان "سنوحي المصري" Sinuhe The Egyptian، وظهرت طبعتها الأولى في اللغة الفنلندية عام 1945، ثم تُرجمت بعد ذلك إلى مختلف لغات العالم الحية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وغيرها. وقد ترجمت إلى العربية مرتين، أولهما ترجمة مختصرة نسبيا، وقد نشرتها دار لاباتري بالقاهرة، ولكنها أغفلت ذكر اسم مترجمها. أما الترجمة الأمينة للرواية فكانت بقلم المهندس حامد القصبي وكيل وزارة الأشغال الأسبق،

واطلع عليها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين (1889- 1973) فأعجب بها وأثنى عليها، ووضع لها مقدمة في أربع صفحات.

وقد حوَّلت شركة فوكس القرن العشرين رواية ميكا وولتاري إلى فيلم سينمائى من إنتاج داريل ف. زانوك Daryl F. Zanuck، ومن إخراج المخرج العالمي ميشيل كورتيز Michael Curtiz، وقام بدور البطولة بعض نجوم هوليوود مثل: جين سيمّونز Jean Simmons، وفيكتور ماتيور Victor Mature، وجين تيرني Gene Tierney، وميشيل وِلدينج Michael Wilding، وقام بدور "سنوحي المصري" في هذا الفيلم الممثل القدير إدموند بوردوم Edmond Purdom.

الجذور التاريخية لقصة سنوحى:

تنوع الأدب الفرعوني الذي تركه قدماء المصريين ما بين حِكَمٍ وأمثالٍ ونصائح وقصص ذات مغزى، ومن هذه القصص الشهيرة قصة البحار الغريق وما تعرض له من أخطار في جزيرة الثعابين الخرافية، وقصة هلاك الإنسانية، وقصة الملك خوفو والسحرة. وهناك أيضا الفلاح الفصيح، وهي قصة بديعة يبث فيها ذلك الفلاح ما تعرض له من ظلم وسلب في أسلوبٍ رائعٍ فصيح.

وهناك أيضا قصة سنوحي التي ذاعت شهرتها واستفاضت قرونا عديدة؛ وهي تصف هروبه من البلاد، وقضاءه عشرات السنين بين رجال البدو السوريين، وما ناله من حظوة هناك لدى زعيمهم الذي زوجه من ابنته الكبرى ومنحه قطعة أرض من خير أملاكه. ولما أدركته الشيخوخة كان يتحرق شوقا للعودة إلى بلاده مصر، فكتب ملتمسا من الملك السماح له بالعودة إلى مصر ليرى المكان الذى يتجه قلبه إليه لأنه ليس هناك ما هو أعظم من أن يدفن المرء في البلد الذي ولد فيه، وقد تحققت أمنيته، وعاد مكرما إلى بلاده.

وقد اتفق كل من عَلَميْ التأريخ المصري للحضارة الفرعونية وهما الأثري الكبير محرم كمال[2] ومؤرخ الحضارة المصرية الدكتور سليم حسن[3] على فحوى هذه القصة التاريخية والعناصر الأساسية لها، والتي استقى منها كل من تعرض لمعالجتها وكتب عنها في العصر الحديث.

الدكتور زيادة ورحلة سنوحى:

أما الجغرافي اللبناني الدكتور نقولا زيادة فقد عقد فصلا في كتابه "عربيات: حضارة ولغة" تعرض فيه لتوثيق تاريخ رحلة سنوحي؛ ربما لأنها كانت إلى بلاد الشام لاسيما أن العلاقات التجارية بين مصر والشاطئ اللبنانيّ (الفينيقيّ) كانت قائمة يومها[4]؛ ومِن ثمَّ فإنه يدلو بدلوه في قصة "سنوحي" معتمدا في جزء منها على ما سطره الجغرافي المصري د. عوض وعلى بعض المراجع العربية والأجنبية التي تتناول تاريخ مصر القديمة مُحدِّدًا تاريخ تلك الرحلة التي تتزامن مع وصول نبأ رحيل أمنمحات في شهر آذار/مارس سنة 1960ق. م. ولا تختلف روايته كثيرا عما دَوَّنه كل من الدكتور سليم حسن في موسوعته أو خبير الآثار محرم كمال، وغيرهما من المؤرخين الغربيين.

فالقصة الحالية قد صاغها قلم مؤلفها الدكتور محمد عوض محمد بأسلوبه الأدبي الشاعري الجميل، بعد اطلاع واسع على كنوز الحضارة المصرية القديمة. وقد صدرت في شهر ديسمبر من عام 1943 بالعدد الثاني عشر ضمن سلسلة "اقرأ"، التي تصدرها دار المعارف التي احتفلنا منذ فترة بمرور 125 عاما على إنشائها في 27 ديسمبر من العام 2015م.

وبعد: فالقصتان . المصرية والفنلندية . مختلفتان تماما على الرغم من اتفاقهما في العنوان، وفي اعتمادهما على التاريخ المصري القديم.

عودة "سنوهى" لنجيب محفوظ:

وقد أدلى عميد الرواية العربية الأستاذ نجيب محفوظ دلوه في هذا الأدب التاريخيّ الذي انتهجه في بداياته الإبداعية للراوية والقصة القصيرة؛ بل إنه قد حقق السبق سواء على المستوى المحليّ أو العالميّ حيث يرجع تاريخ نشره قصته[5] إلى العام 1941، في حين صدرت رواية الدكتور عوض في العام 1943، أما رواية الأديب الفنلندي مايكا وولتاري فقد صدرت سنة 1945.

وعلى الرغم من هذه الريادة التي حققها أديب نوبل الأستاذ محفوظ فإن لنا عدة ملحوظات في هذا الصدد، ومنها ما يلي:

أولا: التزم في تسجيله اسم بطل القصة بالمنطوق اللفظيّ المُتبع باللغة الأجنبية (Sinuhe) التي تفتقر إلى حرف الحاء فكتبه هكذا "سُنوهي" (مع ضم السين) وليس "سِنوحي" على عكس ما صنع كل من د. عوض ومترجم الراوية الفنلندية الأستاذ حامد القصبي.

ثانيا: هناك خلط بين الشخصيات الأساسية من الناحية التاريخية وعلاقة بعضها ببعض؛ من ذلك مثلا: أن سنوهي في قصة محفوظ هو شقيق سينوسرت، وهما . معا . ابنا الملك أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة، في حين أن سنوحي هو من رعايا الملك ومن خدمه المقربين، وليس شقيق سينوسرت ابنه وولي عهده كما جاء فى القصة التاريخية.

ثالثا: هناك اختلافات وتباينات واضحة في الأماكن التي فرَّ إليها سنوحي هاربًا، وفي أسمائها ومواقعها وأسماء القبائل والشعوب التي عاش بين ظهرانيها سواء في كفاح وقتال أو في سلام ووئام.

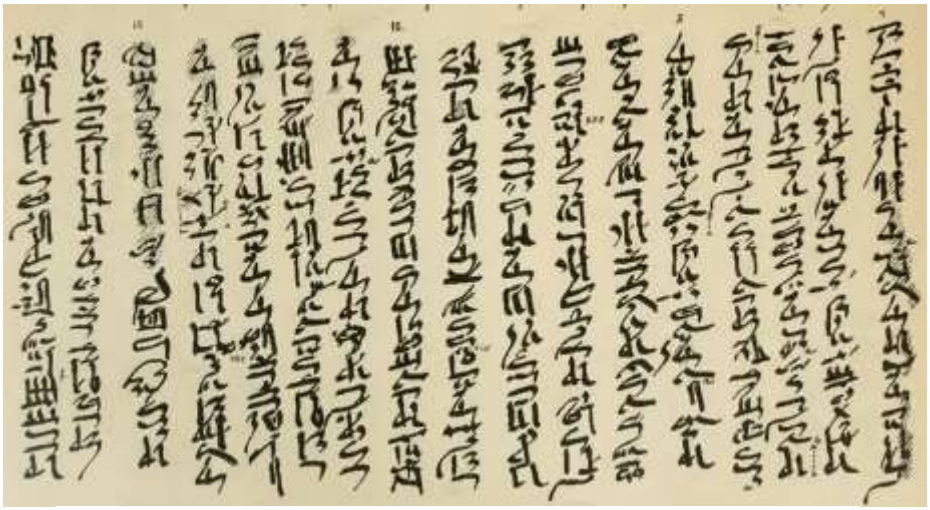

أول جزء من قصة سنوحي على ورق البردي[6]، ويسمى المخطوط Papyrus Berlin 3022

سا نهت في الهيروغليفية
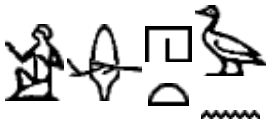

تُعرَف قصة سنوحى فى الأدب المصرى القديم باسم سا نهت.

ولعل عميد الرواية قد أدرك هذا الخلل التاريخي فلم يشأ أن يضم هذه القصة إلى أية مجموعة من مجاميعه القصصية الكثيرة. وعلى الرغم من هذا فقد ترجمها ريمون ستوك عام 2003 إلى الإنجليزية باسم The Return of Sinuhe في مجموعة قصص قصيرة لمحفوظ بعنوان Voices from the Other World. وتستند القصة مباشرة على قصة سنوحي، على الرغم من إضافة تفاصيل لا تظهر في القصة الأصلية.

سنوحي للدكتور محمد عوض محمد:

وقبل أن نسترسل في الحديث عن رواية "سنوحي" للدكتور عوض من النواحي المختلفة لابد أولا من إلقاء الضوء على مؤلفها، وهو يمثل نموذجا فذا من أبرز جيل الرواد من الناحية العلمية والفكرية والثقافية.

حول نشأته وتعليمه:

ما بين مدينة المنصورة بدلتا مصر الخصيبة ومدينة القاهرة العريقة نشأ محمد عوض محمد وشب وتعلم وهرم ومات، وما بين نقطتي البداية والنهاية فقد قضى الرجل حياته في كل من مصر والسودان وإنجلترا والنمسا وفرنسا ولبنان والمملكة العربية السعودية.

فقد ولد بمدينة المنصورة سنة 1895، وحفظ القرآن الكريم، ثم حصل على الشهادة الابتدائية سنة 1909 ثم شهادة إتمام المرحلة الثانوية بالقسم الأدبي سنة 1913 من مدرسة العباسية الثانوية، فكان ترتيبه الأول، فالتحق بعدها بمدرسة المعلمين العليا (كلية التربية بجامعة عين شمس الآن)، ولكنه . نظرا لنشاطه السياسي المُناهِض للاحتلال الإنجليزي في ذلك الوقت . اعتقل سنة 1916، ثم تم نفيه إلى جزيرة مالطا حتى عام 1919، وهو في السنة النهائية، فتأخر لهذا عن متابعة الدراسة لمدة أربع سنوات حيث حصل على دبلوم المعلمين العليا سنة 1920.

غلاف قصة "سنوحي" للدكتور محمد عوض محمد في طبعتها الأولى بسلسلة "اقرأ" (1943).

وقد استثمر الرجل فترة الاعتقال هذه، فتعلم خلالها اللغتين التركية والألمانية من بعض أسرى الحرب العالمية الأولى، ثم عاد إلى مصر لاستكمال دراسته فحصل على دبلوم المعلمين العليا بتفوق سنة 1920؛ مما أهَّله للحصول على بعثة علمية إلى إنجلترا، فحصل على البكالوريوس في الجغرافيا سنة 1924 في جامعة ليفربول، أما درجة الدكتوراه فقد حصل عليها من جامعة لندن سنة 1926.

عاد د. محمد عوض إلى مصر ليعمل مدرسا بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) من عام 1926 إلى 1928، ثم عمل مدرسا بمدرسة التجارة العليا (كلية التجارة)، ثم أستاذا مساعدا للجغرافيا في جامعة "فؤاد الأول" من عام 1928 حتى 1938، ثم رُقّي إلى درجة أستاذ، ثم عمل رئيسا لقسم الجغرافيا بها حتى عام 1942، ثم عُيّن مديرًا عامًا للثقافة بوزارة المعارف حتى عام 1950، ثم أستاذا بمعهد الدراسات السودانية فمديرًا له، ثم مُديرا لجامعة الإسكندرية، ثم وزيرًا للمعارف خلفًا لعباس مصطفى عمار ولكنه استقال عام 1954، ليعمل أستاذا متفرغا في جامعة القاهرة ويتولى الوزارة بعده كمال الدين حسين.

لم يمنعه ما تعرض له من نفيٍّ خارج البلاد سنة 1916 لمدة أربع سنوات . لقاء اهتمامه بقضايا بلده إبان فترة الاحتلال . ويلجئه إلى الصمت إزاء القضايا المبدئية بعد ذلك؛ فحينما تدخلت وزارة المعارف في شئون الجامعة بإبعاد الدكتور طه حسين عن كلية الآداب سنة 1932، واستقال بسبب ذلك أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد . مدير الجامعة آنذاك احتجاجا على هذا الإبعاد . فقد تزعم الدكتور محمد عوض محمد حركة الاحتجاج على هذا؛ فأبعدته الوزارة عن

كلية الآداب ونقلته إلى كلية التجارة، ولم يعُدْ إليها إلا عام 1935حينما تغيرت الوزارة.

تولّى الدكتور عوض عدة مناصب ثقافية عمل من خلالها في خدمة العمل العلمي والثقافي، ومنها إدارته مكتبة الإسكندرية سنة 1945، وكذا شعبة العلوم الاجتماعية لمنظمة اليونسكو بمصر، كما أسهم في إنشاء "معهد الدراسات السودانية"، كما عمل عضوا . بوصفه عالما خبيرًا . في وفد مصر المشارك في مؤتمر "سان فرانسسكو" سنة 1954، فضلًا عن جهوده العلمية القيّمة في علوم الجغرافيا.

يصفه الدكتور طه حسين في تقديمه لرواية "فاوست" التي ترجمها د. عوض عن الألمانية لجوته بقوله: "عرفته منذ أعوام هادئ النفس، صافي الضمير، كريم الخلق، عذب النفس؛ وكان يلذ لي أن أسمع له فأفهم، كما كان يعجبني أن أتحدث إليه فيفهم عني؛ كل ذلك في سهولة ورفق، من غير تكلف ولا محاولة. وكنت أقدِّر أن بيني وبينه صلة خاصة تقرِّب المسافة بيننا أو تمحوها. ولم تكن هذه الصلة بالطبع تنشأ عن المادة التي اختصَّ بها، وبرع فيها. فقد كان يُقالُ إنه وصَّافٌ للأرض ماهرٌ في الوصف، مقوِّم للبلدان بارع في التقويم. درس في مصر ثم في انجلترا، وعاد إلى مصر يحمل إجازات راقية في الجغرافيا. حظِّي من هذا العلم قليل، ولا يمكن إلا أن يكون قليلا؛ وإلا يكون مُشوَّها بعض التشويه. أثر الخيال والخطأ فيه أكثر من أثر العلم والصواب، فلم يكن غريبا أن أبحث هذه الصلة التي كانت تقرِّب بيني وبين الأستاذ محمد عوض، حتى قال لي قائل إنه يحب الأدب ويشغف به، ويعكف عليه حين يفرغ من وصف الأرض وتقويم البلدان. وقال لي قائل بعد ذلك إنه يحب اللغات،

ويدرس منها ما يجد إلى درسه سبيلا. فهو يتقن الإنجليزية والألمانية ويحسن الفرنسية، وله من التركية حظ ومن الفارسية نصيب؛ وهو إلى استظهاره النصوص العربية القديمة الغليظة لا يحب من اللغات الأجنبية التي يحسنها أو يلم بها إلا خلاصاتها العلمية والفنية والأدبية؛ لا يعنيه كثيرا أن يتكلمها في الأندية ودور التجارة؛ وإنما يعنيه أن يفهمها وينفذ إلى لبها الخالص". وانتهى الدكتور طه حسين إلى أنه يشبه في هذا جوته الذي كان طلعة مُسرفا في الطموح إلى ما لا يعلم، وإلى الإلمام باللغات الأجنبية.

قيمة عوض عند الطاهر:

في كتابه "وراء الأفق الأدبيّ" يرى الناقد العراقي الدكتور على جواد الطاهر بعينه النقدية الحصيفة المكانة الصحيحة التي يتبوءُها الدكتور محمد عوض محمد، حيث يقول في رثائه بعيد رحيله: يعود تاريخ معرفتى به . أىْ إعجابى بأدبه . إلى عام 1938، أو قبيله. كنت كأني أودع الدراسة المتوسطة وأستقبل الثانوية .. وكنت أرتاد المكتبة العامة في الحِلة، وأطلب الكتب على غير نسق أو منهج، وأقرأ هنا وهناك، هذا وذاك، ويمتزج بالنفس ما هو منها ويتصل بها ما هو إليها .. ووقعت العين على كتاب بعنوان: "من حديث الشرق والغرب"، اسم مؤلفه: محمد عوض محمد .. فاخترته . ولا تسل عن السبب . ورحت اقرأ في متعة نادرة، وأواصل القراءة. كمن يقرأ قصة تستولى عليه وتشغله عما حوله، وما كان بقصة إنما هو مجموعة مقالات طريفة تستهوِي القارئ بما فيها من جديد مادة ونهجا ولغة، وبما تنقل إلى القارئ العربي من أجواء الغرب ومن الأحوال التي تعتريه هناك في انجلترا.. وعلِقت في ذهني من عنواناته "عاصفة في قدح" و"الثورة في مستودع الخزف". وإني على الرغم من مرور أكثر من ثلاثين سنة

على تاريخ القراءة (كُتبت هذه المقالة سنة 1972) ما أزال أذكر اسم السيد "دوفال" وهو من الأسماء التي وردت فيه.

ثم يقول الناقد العراقي الكبير: لابد من أن يكون عوض مُعَدّا لكتابة المقالة. ولابد من أنه أدرك أهميتها هناك في الغرب، ووقف على كثير من أسرارها الفنية .. ولابد من أنه عرف نجاحه فيها لدى نشره عددا منها في الصحف. ولو لم يكن كذلك لما جرؤ أن يقدم كتابه "من حديث الشرق والغرب" عام 1937 وهو تاريخ يُعَدُّ مبكرا في نشر الكتب المقالية لدينا. ولا غرو أن نصحت بقراءته واقتنيته لأول فرصة. ونصحت باقتنائه .. ولا غرو أن أعيد طبعه. أما جيل اليوم فأكبر الظن أنهم لا يجدون فيه ما وجدناه أمس .. وأين لهم الوقت لمثل هذه المتع الفنية ..

ثم يقول عن كتاب آخر ترجمه الدكتور عوض عن الألمانية: وطلبت كتابا آخر، اسمه غريب عليَّ كل الغرابة: "هرمن و دروتييه" تأليف جوته، نقله محمد عوض محمد سنة 1933، وقد تكون هذه أول قصة مترجمة أقرؤها. موضوع القصة . فيما أذكر . وطني، فيه مغزى الإخلاص للوطن والاستعداد لرد غارة الأعداء، وفيه مغزى الدعوة إلى إزالة الفوارق الطبقية في الزواج، فقد أحب هرمن البرجوازى الثري دروتييه المُشردة وعمل على الزواج منها .. ولكني أؤكد أن ليس المغزى وحده هو الذي استهواني في القراءة، فلابد من أن تكون هناك جدة الفن عليَّ، وجمال اللغة العربية التي صيغت به القصة. أجل، إنك لا تحس وأنت تقرؤها بأن الكتاب مُترجم؛ لأنك تقرأ قلما عربيا ناصعا متمكنا.

وأخيرا يقول الدكتور الطاهر: وقد هيأ لنا محمد عوض محمد كتابا قيما . حول النقد الأدبيّ . من تأليف لاسل آبركرومبى Lascelles Abercrombie

الأستاذ بجامعة لندن فرحنا نقرؤه ونعيد القراءة ونأخذ منه في كل مرة ما يخيل إلينا أننا أخذناه .. وكان فضل المترجم العربي لا يقل عن فضل المؤلف؛ فإنك تقرؤه فلا تحس بتلكؤ، كأن المترجم يكتب بقلم متمكن في موضوع هو جزء من وجوده، وكم تمنينا لو أنه أتحفنا بنظائره! .. كم كنا نود لو انصرف عوض عن الإدارة والوزارة واليونسكو إلى الترجمة أو المقالة أو إليهما! ولكنه مضى[6]!

مؤلفاته:

للدكتور محمد عوض محمد عدة مؤلفات . بخلاف روايته "سنوحي" . بعضها في الجغرافيا (مجال تخصصه) ككتاب "سكان هذا الكوكب" وكتاب "الشعوب والسلالات الإفريقية"، و"نهر النيل" و"السودان الشمالي"، وغيرها، وبعضها في الأدب السياسي مثل كتاب "الاستعمار والمذاهب الاستعمارية"، وبعضها في الأدب مثل: "ملكات الجمال"، و"من حديث الشرق والغرب"، و"التوجيه الأدبي" بالاشتراك مع د. طه حسين وآخرين، وكتاب "دراسات في الأدب الأمريكي" بالاشتراك مع آخرين، وبإشراف من د. طه حسين. وله كتاب حول "فن الترجمة".

ونظرا لإجادته اللغتين الألمانية والإنجليزية فقد نهض الدكتور عوض بترجمة عدة مؤلفات قيمة منها: قصة "فاوست"، و"هرمن دروتييه" لعميد الأدب الألماني جوته عن الألمانية، كما ترجم "الملك جون" لشكسبير عن الإنجليزية.

رئاسة تحرير مجلة "المجلة":

كان للدكتور عوض نشاط أدبيّ وثقافيّ متعدد الوجوه، فهو شاعر وقاص، وكاتب مقالة أدبية واجتماعية، وهو مترجم حاذق ذواقة، مُتخير للنصوص التي يبذل في سبيل ترجمتها ترجمة أدبية رصينة الكثير من وقته وصبره وجهده. كما كان عضوًا في عدة جماعات أدبية وثقافية، منها . على سبيل المثال . جماعة أبولّو التي أسسها الدكتور أحمد زكي أبو شادي (1892. 1955)، كما كان عضوًا بمجمع اللغة العربية منذ العام 1961، كما ترأس عدة لجان به كلجنة الجغرافيا، ولجنة المعجم الكبير، كما كان أيضا عضوا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ولجنة التأليف والترجمة والنشر.

وقد أهله كل هذا لأن يتحمل مسئولية تأسيس وتحرير مجلة ثقافية بحجم مجلة "المجلة" التي كانت . بحق . نموذجا للمجلة الثقافية التي تصادقت فيها شتى صنوف المعرفة والثقافة والفنون والعلوم في تكامل وانسجام تام. كما حشد لها رئيس تحريرها الأول الأقلامَ من مختلف العواصم العربية، في التخصصات المختلفة فتعرضت منذ أعدادها الأولى لفنون العمارة والموسيقى والباليه والرسم والشعر والنحت والفكر، بالإضافة إلى دورها في نقل ما يحدث من تطورات ثقافية في الوطن العربي والعالم أولًا بأول من خلال كتابات مترجمين متخصصين وعلماء ومفكرين، فكانت بمثابة سجلٍ دقيقٍ لكل حادث جديد على مستوى العلوم والفنون والآداب، فمثَّلت مَعْبَرا ثقافيا بين القارئ العربي، وحركة الإبداع والفكر في العالم.

نماذج من شعره:

تفيض كتابات الدكتور عوض الأدبية بعذوبة ورواء قد لا نجدهما كثيرا عند غيره من الكتاب، وهو العالم في مجال الجغرافي والتي تتطلب الكتابة العلمية الصارمة التي لا أصفها بالجافة، ولكن بذلك الأسلوب البعيد عن القالب الأدبي الذي يفيض عذوبة وجمالا. وقد لا نعجب من أسلوب الرجل هذا إذا أدركنا أنه شاعر، له بعض القصائد والمقطوعات الشعرية العذبة التي كان يقولها من آن لآخر، إما أن يعبر فيها عن خلجات نفسه أو عن مفردات الطبيعة من حوله، ومنها هذه المقطوعة بعنوان "قصتي"، والتي يقول فيها:

أحبّ فيك قصتـــــــي وأشـــــــــتكي حكايتي
وكم كتمت في الحـــــشا مـــــــن البـــكا أنَّتي
وكم طويت حُـــــرقة على لهـــــيب زفرتي
ومـن عجيب مـــا أرى ومـن غـريب شـكوتي
بـأنَّ مـــا شـــــــكوتُه مـن اشـتعال جمـــرتي
بأننـــــــــي مُـــمتَّع مـــع العَـــنا بشـــقوتي
وأن أحْـرُفَ اللظـــــى على ضلوع صفـحتي
تزيـــــدني ســـــعادة وتســـتزيـــد بســـمتي

وله مقطوعة أخرى طويلة بعنوان "البحر" نجتزئ منها هذه الأبيات التي تصف هذا الكائن الوحشي الذي ينظر إليه كلٌ منا فيراه على شكل من الأشكال

ويصفه من وجهة نظره الخاصة جدا، على الرغم من أنه هو هو لا يتغير، يقول في مطلعها:

أيها الزاخر ذو الصدر الرحيب كم طوى صدرك من سر رهيب
قد شهِدت الكون، والكون فتى وســترعاه إلى وقت المشيب
كم قرون عصفت وما انقرضتَ وخطـوب نزلت إثر خـطوب
ومحيَّاك رزين ، ناظـــــرٌ بابتســـــام تارة أو بقطـوب
ســاخـرا ممـا يلاقيه الورى مـن نعيم زائل أو من كروب
هازئا ممــا أثاروا بينهـــــم مـن جـدال أو نزاع أو حروب
ثائـرا حـينا وحـينا هــادئا باعـثا رُعبا ، وأمنا للقلـوب
مُهـلكا طورا وطورا مـنقذا كعـــــدوٍ ناقـــــم أو كحـبيب
باسـمـا حـينا وحـينا عابسـا في كلا الحــالين ذو شأن عجيب
حُلة تزهى بها الدنيا كمـــا تخطر الحسنا في الثوب القشيب
عانقتك الشمس من أفق السما وهي تجـري من شروق لغروب
هل رأى العالم في غيركما كيف يحلو مزجُ مــاءٍ بلهيب ؟

إنتاجه العلمي والأدبي:

للدكتور محمد عوض محمد إنتاج تميز بالتنوع ما بين العلم الخالص في مجال تخصصه، وهو علم الجغرافيا، والأدب الجغرافي بشكل عام الذي يعنى به غير المتخصصين في الجغرافيا، ثم والأدب بمعناه الحقيقي من مقال أدبي أو

اجتماعي وقصة وأقصوصة، أو ترجمة لبعض روايات شكسبير . أو ترجمة لبعض النصوص حول النقد الأدبي.

وفي مجال السياسة والأدب السياسي التاريخي قدم لنا الدكتور عوض كتابه الممتع بعنوان "الاستعمار والمذاهب الاستعمارية" الذي ظهرت طبعته الرابعة عن دار المعارف سنة 1957.

أما في مجال الجغرافيا والأدب الجغرافي فقد وضع الدكتور محمد عوض محمد عدة كتب منها: "نهر النيل"، و"سكان هذا الكوكب"، و"السودان ووادي النيل"، و"السلالات الإفريقية"، وغيرها.

أما في المجال الأدبي الخالص فله عدة مؤلفات منها: رواية "سنوحي"، و"حديث الشرق والغرب"، و"ملكات الجمال"، و"رسائل وقصص"، وغيرها.

أما في مجال الترجمة الأدبية فله أيضا عدة كتب منها: كتاب "قواعد النقد الأدبي" لآبركرومبي، وعدة مسرحيات منها: "فاوست" للعبقري الألماني جوته، كما ترجم للمؤلف نفسه عن الألمانية قصته هرمن ودُروتييه Hermann und Dorothea. كما ترجم أيضا مسرحيات: "هنرى الخامس"، و"الملك جون"، و"هاملت" لأمير شعراء الإنجليز وليم شكسبير، الذي احتفل العالم بمرور أربعة قرون على رحيله منذ سنوات قليلة. هذا فضلا عن كونه . أيضا . شاعرا له مجموعة لا بأس بها من القصائد والمقطوعات الشعرية الطريفة التي نشر بعضها في مجلة "أبولّو" لصاحبها الدكتور أحمد زكي أبو شادي.

نموذج من نثره:

تميز الدكتور عوض بالثقافة العميقة، سواء في تراثنا العربي وخاصة قراءاته المستوعبة المتأنية في الشعر العربي كشعر المتنبي وغيره، أو في الآداب العالمية لاسيما ما كُتب منها باللغة الإنجليزية والألمانية وهما اللغتان الأثيرتان لديه، فقرأ فيهما الكثير وترجم عنهما بعض الأعمال الإبداعية والنقدية. وفي النص التالي تبرز كل خصائص أسلوبه السهل السلس الذي يقصد إلى المعنى من أقصر طريق، ولا غرو فى هذا فهو أولا عالم في الجغرافيا، وهذا أسلوب العلماء. كما تبدو في كتاباته أثر ثقافته الغزيرة، وتنوع مجالات هذه الثقافة، وربما كان لتخصصه في الجغرافيا تأثير كبير في هذا، فهي علم شامل يعتمد على أدبيات في مجالات متنوعة علمية وأدبية واجتماعية وتاريخية وغيرها. والآن إلى هذا النص النادر بعنوان "لا يأس مع الحياة": من كتاب: هذا مذهبي بإشراف د. طه حسين؛ حيث يقول الكاتب:

"لعل أهم عنصر في مذهبي في الحياة هو "الأمل": وأعني به الأمل الإيجابي، الذي يدعو إلى مضاعفة الجهد، ويسعى إلى الخروج من المأزق: الأمل الذي لا يعترف بالهزيمة، بل يراها عنصرا خطيرا من عناصر الفوز".

ويبدو لي أن هناك نوعا من الأمل السلبي، وهو نوع من التطلع والانتظار، لعل تطورات الزمن أن تتولى حلّ المشاكل وتذليل الصعاب. هذا الأمل السلبي هو الذي نلمسه في بعض الأمثال، التي لا تخلو من السخرية، مثل المثل الإنجليزي: "Let us live in hope until we die in despair"، مثل هذا الأمل السلبي لا يكاد يختلف كثيرا عن اليأس.

أما الأمل الإيجابي فإنه لا ينفك يرسم الخطط، ويطرق بابا جديدا كلما انسدت أمامه الأبواب، فلا تزيده الخطوب إلا اجتهادا وسعيا للتغلب عليها.

مثل هذا الأمل هو المذهب الذي أحاول أن أتمسك به في الحياة، والتجارب التي مرت بي تدل على أن مظاهر اليأس والجزع التي صادفتها في نفسي أو فيمن حولي من الناس لم يكن لها ما يبررها. ولقد مرت بنا في حياتنا السياسية أحداث كنا نقف أمامها واجمين جامدين، وننادي: "أما لهذا الليل من آخر؟"، وأذكر قول واحد من كبار الساسة وقد سألناه في رأيه في "الحالة"، فقال: "لم يبق لي أمل إلا في عزرائيل". فبعد الذي رآه من بطش الظالمين واستخذاء الأحزاب، لم يعد لديه غير أمل واحد وهو أن يتولى عزرائيل قبض أرواح الظالمين والفاسقين.

وبديهي أن مثل هذا الأمل هو اليأس بعينه، ولم يكن هناك محل لهذا التشاؤم، فقد نهضت البلاد من كبوتها المرة بعد المرة. ثم جاءت الثورة في أشد الساعات حلكة وظلاما، فبددت الغياهب، وباء الظلم والفساد بالويل والخسران. وظهر في مصر قادة قلوبهم عامرة بالأمل، ولا يعرفون معنى اليأس"[7].

قصة سنوحي:

ثم نأتي إلى روايته التاريخية الوحيدة "سنوحي" التي استمدها من الأدب المصري القديم، وهو أدب إنساني صالح لكل زمان ومكان؛ ذلك أنه يتعامل مع نوازع النفس الإنسانية، التي تعبر عن ذاتها بما هو مغروس فيها من عوامل وسجايا وسمات فطرية مشتركة بين الناس جميعا؛ وعلى هذا فكلما تشابهت المواقف والظروف فإن ردود أفعال هذه النفس تصبح متقاربة، وربما . في بعض

الأحيان . متطابقة.. فالنفس الإنسانية . بشكل عام . هي هي في كل زمان وفي كل مكان باختلافات طفيفة، فالمُشترك والمؤتَلِف بينها أكثر بكثير من المُتباين المُختلِف.

وها نحن أمام نص استوحاه صاحبه من تاريخ مصر القديم، والطريف في هذه الرواية أن من يقرأها الآن يظن أنها مكتوبة هذه الأيام، بعد الظروف التي مرت بها البلاد. وعلى الرغم مما تشير إليه هذه الملحوظة من أن الفن الإنساني الخالد، الذي لا يموت، يحمل في طواياه قيما لا تبلى على الزمان؛ ولهذا فهو يؤكد وجوده وبقاءه تحت كل الظروف زمانا ومكانا. ونحمد الله أن النص مكتوب ومنشور منذ عشرات السنين؛ وإلا فإن بعض النقاد عند تقديمه هذا النص كان من الممكن أن يظن أو يعتقد . ويحاول أن يقنعنا بما يعتقده . أن الكاتب يستعمل تقنية أو حيلة الإسقاط . كما يقول علماء النفس . فيلجأ إلى التاريخ القديم وهو يقصد ما تعيشه البلاد من ظروف وتقلبات وأحداث، لا سيما وأنها رواية تتقاطع فيها الخيوط والأحداث ما بين السياسة والتاريخ، وسلوك الحكام والمحكومين؛ مما قد يؤدي بالناقد . الذي يذهب بحكمه إلى نظرية "الإسقاط" . إلى تدمير الوجود المستقل للنص، بل وقد يظن . في هذه الحالة . أن الرواية مجرد "واجهة" أو عنوان لعرض أفكار المؤلف ومعتقداته السياسية.

ولكننا هنا نكتفي بأن هذا نوع من الأدب الإنساني الذي يَعْرِض لنوازع النفس الإنسانية، وهذا هو سر بقائه وخلوده، وهو أيضا سر التشابه الذي قد يقع بين أحداث الرواية، بل وأشخاصها وما قد نصادفه في مرحلة أو مراحل تاريخية متعددة من أحداث وأشخاص أيضا.

الخطوط الرئيسة للراوية:

على الرغم من أن الأدب . بشكل عام . والروائي منه بشكل خاص لا يمكن تلخيصه؛ إذ في هذا تدميره وتشويهه، فإننا نعرض هنا للخيوط أو الخطوط الرئيسة في هذه الرواية التاريخية، وقد يشجعنا على هذا أن التاريخ نفسه ما هو إلا قصص وحكايات يمكن سردها بإسهاب أو اقتضاب، وإن تعلقت هذه وتلك بالأحداث والأشخاص!

1. تبدأ الرواية على وتيرة السرد بضمير المتكلم، حيث يُعَرِّف البطل نفسه، في وضعه الحالي، لينتقل منه بالتقنية السينمائية التقليدية flashback أو "العودة إلى الوراء"؛ ليعرفنا بنفسه فيقول: أنا سنوحي بن سنوحي، أمير الدولة، ووزير الملك، ومدير ممتلكات العرش في آسيا، إلى غير ذلك من ألقاب لا يريد أن يذكرها كلها، اختصارا واقتصارا. أنا سنوحي، وحسبي أن يذكرني الناس بهذا الاسم دون أن يضيفوا إليه شيئا آخر، رغم أنهم سيضيفون. فما فائدتنا . نحن الطبقة الحاكمة . إن لم يجد فينا المحكومون وسيلتهم للتسلية والدعابة؟!

استقر بي المطاف في وطني العزيز بعد أن طوَّفتُ في الآفاق، وقد أتاح لي كرم الإله المحبوب "سينوسيرت"[8] العودة إلى الوطن. ثم أخذ يُعدِّد ما أفاء به عليه من كرمه العالي، وأريد أن أجلس القرفصاء . كما يجلس كتابنا[9] . وأخط على هذه الصحائف سيرة حياتي وأعمالي، وما يستحق منها أن يسطر ليُذكر.

ثم يأتي المؤلف – على لسان الراوي – بالسبب الذي جعل قدماءنا المصريين يهتمون . على نحو متفرد . بتسجيل تاريخهم وسِيَرهم، حيث يواصل سنوحي قوله: فإني حين أكتب هذا الحديث لا أفكر في أبناء عصري وحدهم؛ بل

أتجاوزهم إلى الأجيال التي لم تولد بعدُ مِمَّن يحرصون على معرفة سِيَر أجدادهم ليقتفوا آثارهم حينا وليخالفوهم حينا آخر؛ وبهذا الاختراع الطريف . الكتابة . نستطيع أن نخاطب الأجيال البعيدة، وأن نسجِّل لهم أعمالنا وأخبارنا، وهو ما امتزنا به على سائر الشعوب البربرية التي تحيط بنا.

كان أبي سنوحي الكبير من رجال "طِيبَة" الكرام، ومن نبلائها العظام، ولكنه عاش حياة البؤس بعد أن جُرِّدَت الأسرة من ضياعِها، ولم يُترَك لها إلا ما يَسُدُّ رمقها؛ فقد كان سنوحي الأكبر ساخطا على الفوضى السائدة في عصره؛ وهذا ما أنزله من قِمة اليسار إلى سفحه، وهو الذي نشأ وسط النعيم المقيم. وفي مذكراته التي أوصاني بحفظها يقول: "تأملت فيهم (أيْ في السياسيين الموجودين على الساحة آنذاك) فلم أجد بينهم سوى رجل واحد، طويل الباع، بعيد الهمة، جريء لا يعرف الهيبة ولا التردد.. أعجبني أنه يسعى إلى غرضه في وضح النهار، ولا يحاول أن يستر الغرض الذي يرومه؛ لأنه قوي، ولأنه يجري على سنة العدل، وبغيته الأولى أن يرى بلاده يسودها الرضا والرخاء"[(10)].

ويواصل سنوحي الابن سرده: هذا ما خطته يَدُ الوالد العزيز. وأنا في غنى عن أن أذكر للقارئ أن هذا الرجل العظيم هو أمنمحت الأول، ولكني لا أشك في أن سنوحي الأكبر حينما التف هو وأقرانه حول الأمير الناشئ كان حقا يعرف أنه يغامر؛ ذلك أن أبي كان مشغوفا بالمغامرة التي يزن المرء فيها بإمعان وتدبير وتقدير جميع رجال العصر المؤهلين للسيادة؛ وذلك في عهود الانقسام واضطراب الأمور، حتى إذا وضحت الأمور وخيل إليه أن زعيما من بينهم سيكتب له الفوز بادر بالانضواء تحت لوائه، وبذل كل مجهود لنصرته وتأييده. وعلى هذا فقد كان يشجعني على ارتياد هذا الطريق ذاته لاسيما أنه كان يحسن

الظن بي وبمُقوِّماتي التي تشبه مقوِّماته، والتي استطاع من خلال استثمارها أن يسترد ضياعه جميعا، وأن يتولى إدارة المقاطعة الجنوبية، وحينما انتقل أميني (أمنمحت) من حاضرة ملكه "طيبة" التي نشأ فيها، أراد أن يصحبه إلى عاصمته الجديدة في الشمال، فاعتذر له برفق بأن جو الشمال يؤثر في مفاصله وفقرات عنقه، مُفضِّلا بقاءه في الجنوب، على الرغم مما سمعه عن العاصمة الجديدة وما فيها من روعة البناء وجمال المتنزهات، وأسباب العيش الرغيد، فضلا عن أن من أراد أن يحكم مصر فعليه أن يقيم في قلب الوادى. كما أن الأخطار التي تتهدد البلاد من آسيا وليبيا أجلّ وأعظم من خطر "الواوات" على الحدود الجنوبية، خاصة أن للملك ثقة لا تتزعزع في إخلاص سكان الجنوب. ولقد طالما زاره الملك الإله أو نجله "سينو" في أثناء حملاتهما على "واوات" أو عودتهما منها.

ومع بقاء أبي في نعيمه بالجنوب، فقد اختارني من بين سائر إخوتي . ولم أكد أتجاوز خمسة وعشرين ربيعا . لألتحق بالملك الطيب "أميني" لكى أشق طريقي في الحياة، دون سابق معرفة بما تضطرب به الحياة العامة وحياة القصور خاصة، وذلك في العام العشرين من حكم أمنمحت باعث مصر وموحدها، ومؤسس نهضتها الجديدة. لم أكن شديد الاقتناع بآراء أبي مع إصغائي له باهتمام كبير لحبه والحرص على الإنصات لحديثه، ومع هذا فقد تحققت نبوءته بأني سأغلب الهوى على العقل.

المهم.. أنه قد رست بي سفينتي أمام العاصمة الجديدة إِتْتُوي: أيْ قاهرة القطرين، حيث لحقت بحاشية الأمير "آني"؛ ثم نُقِلتُ بعد فترة وجيزة إلى حاشية الابن الأكبر سينو ولي العهد.

2. بهرني حسن تنسيق العاصمة الجديدة، وروعة منشآتها التي جمعت بين جمال الصناعة ومتانة البناء، ومن عادة أمنمحت أن يفخر ببناء قصور تقارع الدهر وحادثاته لا سيما القصر العظيم "ذو البابين"؛ إذ له بابان متجاوران، أحدهما للدخول والآخر للخروج، وهما آية في جمال التنسيق وروعة البناء. ولم تكد تنقشع من مخيلتي روعتهما حتى حينما قضيت السنين الطوال في أرض "الرطين". وقد كان القصر مصمما على هيئة نسر بسط جناحيه على امتدادهما: أما قلبه فهو الديوان الملكي، الذي يدير فيه الملك شئون البلاد، وإلى جانبه ساعده ووزيره الأول "هامان"، الذي كان يقف صامتا مطرقا حتى يسأله الملك عن أمر فيرد بدقة واهتمام.

ثم جعل سنوحي يصف لنا الملك أميني بما هو أهله، لكن هل ثمة أبلغ في العظمة من وصفه له بأنه خرج من وسط الفوضى التي تشتمل القطر من أطرافه، وقد اغتالت أرض الوطن غول الفتنة من الداخل وغول العدوان من الخارج، والجميع في تشاحن وتطاحن، حتى إن الجار يجور على جاره، وقد تقهقر الحق في كل مكان أمام القوة الغاشمة، وتمزقت البلاد أسوأ تمزيق. وفي وسط هذه الكوارث ينهض شاب يوشك ألا يعرفه خارج بلدته أحد، فيجمع حوله الرفاق، ويستخلص الحكم من أيدى الولاة الجائرين في مثل لمحة الطرف، ثم لا تمضي بضعة أشهر حتى يكون القطر كله خاضعا لحكم عادل يسوده الأمن والسلم. ولم يقف المرء عند هذا، بل نرى الأعداء من آسيا قد نكصوا على أعقابهم، وشعب "الطحين" في ليبيا يرسل الهدايا ويُبدِي المودة، والواوات في الجنوب يقسمون أنهم ما عرفوا غير الولاء لمصر والحب لملكها الشاب.

ولم تقف جهوده عند هذا الحد ولكنه سعى في تأمين حدود البلاد، وتشييد عاصمة تجمع بين الجمال والجلال، وعمد إلى نشر الرخاء في أنحاء الدولة، وإلى تشجيع الفنون والآداب. ومن العظمة التي تفوق كل تقدير أن ينهض إنسان لم يرث من أسلافه غير الفوضى والاختلال والتفكك فيخلق من وسط هذا كله دولة يسودها الرخاء والنظام في الداخل والخارج؛ وفوق هذا فهو بطل قد جمع في جسده وروحه صفات البطولة. فعلى الرغم من شهرتي بقوة الساق والساعد والرماية المحكمة فإنه لما ناولني الملك قوسه على سبيل الدعابة فما استطعت أن أشد وترها شبرا! فتناولها مني ضاحكا ثم أرسل سهما في الفضاء وإذا بطائر من الغر يسقط بين أيدينا وما كنا نرى في الجو شيئا!

3. أما الفصل الثالث فيدور حول مجالس الملك الخاصة، وما يدور فيها من مؤانسة الشعراء له ومدحهم إياه، ومنهم شاعر البلاد الأكبر يونس الذى سمع به سنوحي وكان يتلهف شوقا لرؤيته؛ لوصية أبيه له بأن يخطب وده، ويكتسب صداقته؛ لواسع معرفته بأسرار القصور، وما يجري في قاعاتها المغلقة! وعندما مثلت لأول مرة بين يدي الملك في حجرة عرشه كان يتأهب للإنصات إلى منظومة من شعره، فسألني بسرعة عن أبي وأسرتي ثم أمرني أن أقف في جملة الحاشية لأنصت إلى الشاعر العظيم، الذي ابتكر طريقة جديدة وهي أن يصف لنا بلاط ملك من الملوك الغابرين، ثم يجيء رئيس الكهنة فيدلي أمام الملك بنبوءة عظيمة عن ملك من ملوك مصر العظام ينقذ البلاد من الفوضى والاضطراب. وهو هنا يشير إلى الملك أمنمحت، وقصة وصوله إلى حكم البلاد في ظروفها الصعبة. والقصيدة جميلة وطويلة، ومع هذا لا يمكن تلخيصها، ولكن من الأفضل الاستمتاع بجمالها وروعتها من خلال قراءة نصها الأصلى (ص 31. 39).

وكان تعليقي على القصيدة حينما طلب إلي الملك ذلك: أن الفضل الأكبر يرجع إلى شخص الملك الكريم، وأعماله المجيدة التي أوحت إلى شعرائنا الكبار بمثل هذا الشعر الرائع المُعبر، واضطرتهم لأن يحلقوا فيبلغوا هذا السمو الهائل. فكان هذا الجواب التلقائي بمثابة الخطوة الأولى في تنفيذ وصايا أبي. فنظر الملك إليَّ وقال: إنك تحسن الكلام فلعلك تحسن الرماية أيضا. ثم أشار إليَّ بأنه سيُعقدُ حفلٌ عظيمٌ يتبارى فيه الرُّماة. فلا تنس أن تعدَّ نفسك لهذا اليوم. فما يجدر بابن سنوحي الكبير أن يقصِّر في هذا المضمار! وكثير منهم سيؤوب من المضمار بذراع يتصبب منها الدم؛ لأني لن أسمح فيه لأحدٍ من المتسابقين أن يلبس فيه وقاءً على ذراعه اليسرى. والآن انطلق أنت كالسهم لتلحق بالأمير آني فإنه يتوقع رؤيتك. وشرعت متجها . بصحبة رجل من الحاشية . إلى قصر الأمير الملاصق للسراي الملكية.

4. ثم يروي سنوحي قصة التحاقه بخدمة الأمير آني الذي وصفه بالبشاشة المجسمة، ووصف زوجته "نورا" بالجميلة المغرورة، ثم ذكر وعد الأمير له بأنه سيلقى بينهم مقاما طيبا، ثم تعريفه إياه بأخته "بتسي"؛ إذ هي شقيقة زوجته نورا. وقد شعر سنوحي أن مقدم بتسي قد حوَّل الحجرة إلى غرفة من غرف السماء! ومن الخطأ أن يقال: دخلت بتسي، بل هبطت علينا من وسط النجوم؛ لأن هذا النور الذي بهرنا وغمرنا ليس فيه من هذه الأرض شيء! ولكن شتان بين الأختين، فعلى الرغم من تشابه ملامحهما، ولكن كل واحدة منهما شخصية مختلفة عن الأخرى تماما في كل شيء. ففي وجه بتسي تستطيع أن تقرأ الهدوء والعطف والحنان، وتقرأ فيه شيئا آخر لا سبيل لأن تراه في مُحيّا الأميرة: وهو الحب. فما أسعدني بهذا الجوار، الذي سأجد فيه سعادة العمر ونعيم الحياة! بهذا حدثتني نفسي، وهي نفس عجول؛ إذ لم تلبث الحوادث أن بدلت هذا الحكم،

وألزمتني بالاعتراف بأن الشوك قد ينبت مع الورد. ومع مجاهدتي لتحويل نظري عنها لأنظر إلى الأمير، قال لي: تستطيع الآن أن تنطلق إلى دارك يا سنوحي؛ لتستريح فلدينا في الغد رحلة صيد.

شغفت ببتسي شقيقة الأميرة نورا على الرغم مني، فهداني عقلي إلى أن ألجأ إلى يونس الشاعر لأسأله عنها، وما أن رآني حتى حيّاني وقال: لقد كنت أرجو ألا ينقضي اليوم حتى أراك فإذا رجائي يتحقق. ودعاني لمشاركته الشراب والحديث.

وقد انتهز المؤلف هذه الفرصة لإثارة ومناقشة قضية الشعر الحر، والشعر القديم والشعر الحديث وموضوعاتها . فيما دار من حوار بين سنوحي ويونس . والتي كانت تفرض نفسها في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي (ص 51 . 54)؛ ليكون هذا مدخلا غير مباشر للولوج إلى ما جاء من أجله وهو السؤال عن بتسي.

وما لبث هذا أن فتح له خزانة أسراره، ودله على كل مستور يجهله حول الأسرة المالكة، حيث قال له يونس: أنصت إليّ جيدا.. أنشِئَت هذه العاصمة في الجنوب من منف لكي تجمع القلوب المتنافرة، وتؤلف بين أجزاء المملكة التي طال بينها الشقاق، ومزقها التحاسد والتنافس، فاتخذ الملك حاشيته من ذوي الجاه والسلطان من حكام المقاطعات، وملأ بأبنائهم حاشيته، وببناتهم قصره، واتخذ منهن الزوجات والوصيفات. وزاد في هذا الخليط العجيب أن عاد الملك من إحدى غزواته بهؤلاء الليبيين والليبيات من ذوات الشعر الأصفر والجلد المقشر. أمر واحد أقدم عليه أميني لم يراع فيه التقاليد والسنن الشرعية؛ فبدلا من الزواج من شقيقته رأى أن يتبع هواه في زواجه، وأن يزوج أخته من أحد أمراء الشمال،

فأنجبت الأخت الأمير آني، وأنجب الملك الأمير سينوسرت. وزادت المقادير المشكلة تعقيدا بأن وُلِدَ الغلامان في يوم واحد، فأيهما يرث العرش؟ ابن الأخت كما تقضي الشرائع المقدسة، أم ابن الملك كما تشير بذلك عاطفة الأبوة؟ وقد نما الغلامان وترعرعا فإذا هما خير من أنجبت الأمهات: كمالا وخَلقا وخُلقنا، كما ضربا بسهم في ميادين العلم والعمل. ففي وُسع الملك أن يرسل كلا منهما على رأس جيش ضخم وهو واثق بأنه سيعود بما يبعث على الفخار. ومع هذا فآني يحب حياة الدعة والحياة المنزلية الهادئة، بينما يعشق سينوسرت القتال وقيادة الجيوش واقتحام الأخطار. وخلاصة القول إن مصر إن كانت تبغي ملكا للسلم وآخر للحرب فإنها ستسعد بهما، ولكن مصر تبغي ملكا واحدا؛ إذ ليس في العرش مكان إلا لملك واحد؛ مما جعل الناس يتساءلون: أيهما سوف يلي المُلك؟ ولم يلبث القصر الملكي أن أصبح مسرحا للدسائس. فتساءل سنوحي: ألم يفعل الملك شيئا لوقف هذه الدسائس؟ فرد يونس: الملك الذي لم يعرف سوى الفوز والنصر هو آخر من يسيء الظن أو يفكر في العواقب، حتى إنه فوجئ بأن منازل "قاهرة القطرين" قد انقسمت إلى حزبين: أحدهما حزب الأمير آني والآخر حزب الأمير سينوسرت! ثم لم تلبث الأمور أن ازدادت تعقيدا بزواج الأمير سينو من ابنة أميني كما تقضي التقاليد المقدسة؛ أما الأمير آنى فقد جُنَّ غراما بالأميرة الليبية نورا التي نزلت القصر كإحدى السبايا فلم تلبث أن أصبح لها شأن عظيم. إلا أنه لم يكترث بأمور العرش أو الوراثة. وكان من الممكن أن يتخذ منها آني خليلة أو وصيفة ولكن من يعرف نورا حقا لا يمكن أن يخطر بباله مثل هذا الاحتمال! فإنها امرأة ترنو ببصرها إلى أسمى المراتب.

ولم يألُ الملك جهدا في تمهيد الطريق . بكل السبل . لجعل ابنه (سينو) وليس ابن أخته (آني) وليا للعهد والوريث للمُلك؛ فقد وُلِدَ سينو قبل آني ببضع

ساعات. وللناس إحساس عجيب بما سيحدث، فانضوى تحت لوائه عدد كبير من أولئك الذين لم يذهبوا إلى المعسكر الآخر عن إخلاص وتحمس. والأمير آني نفسه أزهد الناس في الملك والعرش؛ ولكن للأميرة نورا رأي آخر؛ ولهذا لا يزال هناك عصابة قوية تعمل في الخفاء لخذلان وليّ العهد (سينو) والانتصار للأمير آني! سأله يونس: هل تُراك فهمت بعقلك الصعيدي شيئا مما يجري في عاصمتنا؟ أم ألقمك الجرذان كي يتفتق ذهنك ويستنير عقلك؟ فقال له سنوحي: لقد فهمت الموقف ولا حاجة لي بجرذانك! ولا أظنني سعيد بما عرفت!

قال له يونس: أعرف أنك لست سعيدا بهذا، وأنك توشك أن تصبح من عصابة الأميرة نورا.

فاضطرب سنوحي حينما سمع من يونس هذه العبارة، وصاح دون تفكير: كلا! إنني لست من أفراد هذه العصابة أو تلك. قال يونس: إنك تخطئ إذا تركت نفسك تنزلق دون أن تدري فلا تلبث أن ترى نفسك قد تورطت في إحدى الناحيتين فجأة دون أن تحسب لذلك حسابا. فإن للأميرة شقيقة فتانة الجمال. سأله سنوحي: وما خطب هذه الأميرة؟ رد يونس: إن اسمها بتسي. قال سنوحي: وماذا علينا إن كان اسمها كذلك، أو كانت على جمال رائع؟ رد عليه يونس: إن هذا أهم ما أريد أن أُسرّ به إليك، وهو أن الأميرة نورا تعمل لضمان العرش لزوجها أو لزوج أختها. ومن ثم أرادت لسينوسرت أن يتزوج من بتسي الجميلة، فإن فاتها أن تغدو ملكة فلن يفوتها أن تكون الشقيقة الكبرى للملكة. ولكن سينو مغرم بها غرام المحاربين فيريدها جارية ومتعة لا زوجة. ولكن هيهات أن ترضى بذلك نورا. وهي . وقد يئست من ذلك . تعمل لأن يصبح زوجها وليا للعهد، ومن ثم تريد لها زوجا يساعدها في تحقيق هذا الهدف. وقد سمعت بمقدم شاب من

نبلاء الصعيد اشتهر بالقوة والنجدة وبشيء غير قليل من السذاجة، ويُدعى سنوحي. وأظنك تعرف ماذا يمكن أن يكون الثَّمَن؟

ثم قال يونس: سينوسرت الآن بعيد عن العاصمة؛ وهذا سبب إلحاقك بحاشية الأمير آني. والسبب الثاني فهو ثقة الملك من إخلاص سنوحي بن سنوحي، ويهمه أن يكون فى قصر الأمير آني أحد المخلصين. ذلك هو الموقف الذي أردتك أن تلم به، وأن تجعله موضع اهتمامك وتفكيرك في الأيام المقبلة.. لقد صدق القدماء حينما قالوا "فتش عن المرأة".

قال سينو: وأنت يا يونس ألا تخشى شيئا؟ قال يونس: لقد استترت وراء الشعر واتخذته رداء ووقاية فلا أثير ريبة أو أغضب أحدا.. ثم قال له: اغدُ عليّ مرة أخرى بعد أن تعود من رحلة صيدك غدا أو بعد غد، فربما كان لي معك حديث آخر فإني أحسُّ حدثا وشيكًا!

5 . لم ينم سنوحي ليلته تلك فقد أدرك أنه انتقل من سذاجة القرويين وجرائمهم البسيطة إلى خبث أهل المُدُن وشرورهم المعقدة. ثم حدثته نفسه: أرادت بي الأقدار خيرا إذ أتاحت لي صداقة هذا الشاعر العجيب يونس، ومن حسن حظي أن توطدت المودة بيننا بهذه السرعة. ومع هذا لم أنتفع بصداقته تماما؛ إذ إن لي نفسًا لم تخل من الزهو والغرور، فلم أتحدث معه عن شغفي "ببتسي".

لم أنم ليلتي، وما كاد الظلام ينهزم حتى وصلت إلى قصر الأمير آني فوجدته واقفا بالباب ومعه طائفة من حاشيته، فلم يكد يراني حتى أخذ يلاطفني: أترى ليل الشمال أهدأ وأعذب من ليل الجنوب؟

فبادله سنوحى بملاطفة أعذب قائلا: كل الليالي في جوار الأمير طيبة.

رد الأمير: ليس هذا بجواب صريح عن سؤالي، ولكني أعفيك من بقية الرد؛ أنت ستصحبني إلى المستنقعات فطائفة البط بها تناشدنا لصيدها! أما والدي وشقيقي سينو فلا يرضيهما إلا صيد الأسود واقتيادها حية!

وقد أبلى الأمير بلاء حسنا في هذه الرحلة فلم يقتصر على صيد البط ولكنه أفلح في صيد عجل بحر سمين، فاتجهتُ مع الجميع لتهنئته!

وقد اشتركا معا في تلك الرحلة في طائفة من المغامرات الناجحة مما كان له أثر حميد في نفسيهما.

ومع نهاية اليوم سمعتُ أصواتا تشق سكون المستنقع، ولم تمض لحظة حتى بدأ زورق فخم يقل الأميرة نورا وعددا من وصيفاتها، ولا أظن الأمير كان يتوقع هذه المفاجأة. ولكنه لم يبدِ دهشة فقام وأخذ بيد زوجته وهي تنزل من الزورق، فحيتنا بتحية جامدة، ولم تكد تصل إلى الأريكة حتى أمرتنا جميعا أن نذهب إلى الزوارق فنبتعد بعيدا فأطعنا الأمر فورا. فلا شك أن الأميرة تريد أن تُسِرَّ لزوجها بسر خطير، ولم تطق الانتظار حتى يعود. وقد علمنا من سياق الحوادث هذا الأمر الجلل؛ حيث أعلن أميني للناس جميعا أن ولي عهده هو الأمير سينو، وبعث الرسل بهذا النبأ السعيد إلى جميع البلاد يدعو الحكام إلى احتفال عظيم لتكريم الأمير، وأرسلت بعثة خاصة إلى الأمير لاستدعائه من أرض "واوات".. وغير ذلك من الأنباء التي أقضت مضجع الأميرة نورا وعصابتها. وقد بذل الأمير جهدا جهيدا . على غير اقتناع منه .كي يجاري الأميرة في هذا! ثم نودي علينا أن نقترب، فدعاني الأمير إلى الجزيرة فنزلت وحدي، وابتعد الزورق مرة أخرى. وهناك وسط تلك الخميلة البعيدة جعلتني

الأميرة أقسم بالآلهة جميعا بالوفاء لها، ولزوجها، وأن أأتمر بأمرهما، وأن أنصرهما وأن أكون لهما في السراء والضراء خادما أمينا وصديقا مخلصا..".

(وقد بلغ المؤلف القمة في وصف هذه الرحلة، دقة وبلاغة وجمالا، وربما ساعده في هذا . إضافة إلى تمكنه من أدواته كاتبا مُجيدا . كونه جغرافيا يستطيع بدقة وسهولة أن يصف بيئة مثل هذه الرحلات بشكل لافت للنظر).

6. انقضت ثلاثة أيام لم تهدأ فيها العاصمة لحظة، خاصة القصر الملكي، كنت خلالها في معية الأمير أينما ذهب لم يتغير من مظهره شيء سوى في اليوم الثالث بعد لقائه بالملك. فتذكرت من فوري يونس الذي لقيته لدى الباب ومعه شخص أسمر قوي مفتول العضلات قدمه لي: هذا صديقي "صعب" رآك منذ ثلاثة أيام ضاحكا مستبشرا عند ذهابك مع الأمير في رحلة الصيد، ثم صامتا واجما عند عودتك! ثم اصطحبني إلى كوخه في الضفة الشرقية للنيل وهو دار صغيرة جميلة، وبعد حديث طويل حول المنظر البديع الذي يحدثه اقتران الهلال بالزهرة من ثلاثتهم، اصطحبهم يونس إلى داخل الدار لتناول شيء من الطعام والشراب. ولما رآني يونس متضجرا قال: تكلم يا سنوحي أمام صديقنا صعب فهو خير من يكتم الأسرار.

قال سنوحي: ليس ثمة سر ولكني في حيرة من أمري ومما يجري حولي. ولكني دهشت لما أسَرَّ إليّ الأمير آني بسر أكتمه عن جميع الناس إلا عنكما، وهو أنه سيترك العاصمة ويختفي في مكان ما، وطلب إليّ أن أمكث بالمدينة للسهر على خدمة زوجه وحريمه. فماذا وراء هذا؟!

قال يونس: حقا نحن بحاجة لأن نأخذ حذرنا خاصة أنت يا سنو! ومع أنه لا علم لي بما يجري اليوم فإنني سأقص عليكما ما بلغني بالأمس، فمنذ ثلاثة أيام .كما تعرفون . أعلن الملك أن نجله الأكبر سينو هو "ولي العهد". ولم يقف الأمر عند هذا بل إنه قد اجتمع بوزيره هامان، وبعد مقدمات تمهيدية طويلة خرج بقرارين خطيرين، أولهما: إعداد جيل جديد من الشباب يُختارون بدقة ليتلقوا العلم والإعداد مع أبنائي وأبناء وزرائي وأعواني في القصور الملكية؛ إذ إني أريد إعدادهم لمناصب الحجابة والوزارة وقيادة الجيش وتولي الحكم في المقاطعات بعد آبائهم.

قال له هامان: رأي سديد يا مولاي. قال الملك: حسنا. أما الأمر الثاني فإني أريد أن أشرك ابني في الحكم بقية عمرى لأدَرِّبه على السياسة كما دربته على الحرب والقتال. وهي سنة جديدة أريد أن أسنها سيدهش الناس لها أول الأمر ولكنهم سيعتادونها، وسيجدون أنها ستُجَنِّب البلادَ الأزمات والفتن التي يمكن أن يتعرض لها العرش أو الدولة عند انتقال الصولجان من يدٍ إلى يد، والتاج من رأسٍ إلى رأس، فما رأيك يا هامان؟

قال هامان: إن للملك الرأي الأعلى، والنظر الثاقب دائما، وأنا في حاجة إلى التروي قبل أن أدلي لمولاي برأي في هذا الانقلاب الخطير. قال الملك: آفتك يا هامان هذا التروي! ما الذي تخشاه؟ قال هامان: إن الأشراف وحكام الأقاليم جميعا لا تحدثهم أنفسهم بشر من تلقاء أنفسهم، ولكن قد يكون بينهم من يساعد الشر إذا بدأ به سواه. قال الملك: كأنك ترى أن هنالك عصابة تكون هي البادئة بالشر! قال: نعم. إني إذا ضمنت لجلالتكم حكام الأقاليم، فإني لا أضمن إخلاص كل من في القصر؛ إذ لديَّ ما يحملني على الظن بأن الأميرة الليبية

من أبرع النساء في حياكة الدسائس. وهي فوق هذا بعيدة الأطماع، لا تريد أن تنسى أنها من سلالة عريقة في المُلك. قال الملك: من أصعب الصعوبات أن يسوس المرء القصر الذي يعيش فيه والأشخاص العديدين الذين يستظلون بظله. صحيح أن زواجها من آني قربها مني. ولكن لتحترس هي ومن معها فإني خليق بأن ألقي بها إلى السباع. لقد شغلني يا هامان حكم القطر عن حكم القصر. ومع هذا اترك شأن القصر لي، أما أنت فأريدك أن تستعدّ لحفلة التتويج بعد خمسين يوما.

ثم قال يونس: ذلك أيها الأخَوَان الحادث الجليل الذي يشغل العقول. قال سنوحي: أواثق أنت من أن هذا كله قد حدث؟ قال يونس: ليس لدي شك. قال سنوحي: هل تظن آني يخرج على إرادة والده؟ قال: كلا. فهو أزهد الناس في المُلك. وإن كانت ثمة دسيسة فلن يسمح بها. ولهذا طلبوا منه الذهاب إلى إحدى الضياع البعيدة، وطلبوا منك أن تسهر على حماية زوجته. فاحذر يا سنوحي ولا تقامر على الجهة الخاسرة، واذكر أن ولاءك للعرش مقدم على غيره!

قال سنوحي في نفسه: هنا تذكرت اليمين التي أقسمتها للأميرة في المستنقعات، وأنه كان وراءها شيء ما!

وأخذت الهواجس تتلاعب بي! وأحسَّ رفيقاي بأني وجِمتُ بشدة. ثم ساد صمت، قال بعده يونس: لنعُد إلى الضفة الغربية. وعدت إلى منزلي لأقضي ليلة أخرى في هم وسهاد! كان كل ما يشغلني هو أمر بتسي حينما يجلس سينو على كرسي العرش.

7. حلّ موسم حصاد القمح الوفير، وسُرَّ الفلاحون بقرار الملك بتخفيض الضرائب هذا العام ليُهيئ لتتويج الأمير سينو جوا من الرضا العام. وكان من جملة الحفلات مسابقة الرماية التي كنت أنتظرها منذ حللت بالعاصمة، والتي لم أهمل الاستعداد لها يوما. ناداني الملك قبيل المسابقة وقال متلطفا: ويحك يا ابن سنوحي، إن يوم الحساب قد حلَّ فاثبت لأهل الشمال قوة سواعد أهل الجنوب!

صاحَبَني في ذلك اليوم توفيق لم أكن أتوقعه، إذ وصلت جميع سهامي إلى الضفة الشرقية وسبعة من عشرة قد أصابت الهدف! فكان فوزا لم يوفق إليه أحد، اللهمَّ إلا جلالة الملك، وإن كان من غير المتسابقين! هنأني الملك ومنحني جائزة، وقال: خليق بك أن تلحق بحاشية الأمير سينو العائد قريبا!

ومع أن هذا اليوم قد بدأ باسما ضاحكا فقد انتهى في تجهم وظلام حالك، إذ تلته ليلة ليلاء هب فيها الملك أميني من نومه منزعجا لأن عصابة من الخونة اقتحمت داره لتفتك بشخصه المقدس. المظنون أن للملك أُسْدًا تحرسه إذا نام فلا يدنو من القصر شخص غريب إلا تعرض للموت المحقق. ولكن الناس تنسى أن المكلفين برياضة هذه الوحوش هم عبيد ليبيون، وأن كثيرا من حُراس القصر من الليبين أيضا. وهذا الاطمئنان العجيب إلى هؤلاء الغرباء كاد أن يكلف الملك حياته، ويفقد الأمة المصرية أثمن من لديها! وقد رأينا من قبل توجس الملك ووزيره هامان من ذلك الهدوء الظاهري بالقصر، الذي قد ينذر بجمر تحت الرماد! ولكن الذي حدث من داخل القصر لم يكن قط في الحسبان. كان الملك في تلك الليلة متعبا بعد مجهود يوم طويل، ومع هذا دعا وزيره هامان وتحدث معه في أمور لا تحتمل التأجيل، ثم أوى إلى فراشه لينام. ومع انتصاف الليل وسكونه الذي قطعته صرخة مزقت الفضاء، نهض الملك منزعجا فرأى

حاجبه المصري يدخل من الباب مترنحا مضرجا بدمائه ومن ورائه وجوه شريرة تعدو نحو حجرة الملك. وقد ردهم الملك بأن ألقى عليهم تمثالا من رخام ثم أعقبه بآخر من نحاس ثم تناول فأسه وانقض على المعتدين يضربهم يمينا وشمالا وقد مات منهم من الرعب أكثر ممن قضى نحبه قتيلا بضربة فأس أو خنجر متحملا العبء الأكبر في هذا القتال وساعدته عصبة صغيرة من أبناء طيبة أبلت بلاء حسنا، وأمكن بمساعدتهم تطهير القصر من الدماء والأشلاء.

وقد اتهم تجار الشر سنوحي بأنه كان مُلِمًّا بكل شيء، وأنه من المتآمرين مع الأميرة الليبية وعُصبتها، وإلا فكيف ساقتنى الصدفة العجيبة إلى قصر الأميرة في تلك الليلة، وأن تدفعني إلى مصاحبتها هي وحاشيتها من العاصمة إلى الحدود الغربية؛ وبذلك ساعدت العصابة على الهرب والإفلات من القصاص واللحاق بالقبائل الليبية؟ ولن يصدقني أحد حتى لو أقسمت بالأيمان المغلظة أنه لا علاقة ولا علم لي بكل هذا الأمر! فقد كنت في تلك الليلة نائما في داري، وهي من الليالي القليلة التي نعمت فيها حقا بالنوم العميق!

أيقظني من النوم قُبيْل الفجر رُسُل الأميرة نورا، وحينما خرجت ألفيت قافلة تتقدمها الأميرتان، ومن خلفهما عدد كبير من الأتباع الليبيين. وكان الركب وطبيعته توحي بأنه يزمع سفرا طويلا، وقد لاحظت أنهم جميعا مدججون بالسلاح. لم أستطع أن أفهم شيئا من هذا كله! وانتظرت أن أعرف شيئا، ولكن الأميرة لم تزِد على أن قالت: "إننا ذاهبون في رحلة قصيرة نحو الغرب، ونريد أن تصحبنا.. ولستَ بحاجة لأن تستحضر شيئا". ولكني برغم هذا أحضرت قوسي ونصالي وفأسي ورمحي، ومشيت إلى جانب الأميرة. واتخذنا طريقنا في جنح الظلام نحو الغرب من أقصر سبيل، ولم يعترضنا في طريقنا أحد. لم يكن

يقلقني إلا غياب الأمير آني عن هذه الرحلة! وقد توهمت ساعتها أنه قد سبقنا.. فزال عني القلق. كنا نسير نحو الغرب مع انعطاف يسير نحو الشمال. وعند شروق الشمس رأيتُنا كقطار غريب مريب يتجه نحو الغرب، واختلست النظر إلى وجه الأميرة فإذا هو شاحب. إن أمرا خطيرا قد حدث ولا شك. وبتسي ما خطبها؟ إنها تخفي وجهها عني كلما حاولت أن ألقِي عليها نظرة خاطفة. كنت في أشد الحاجة إلى فك هذه الطلاسم، ولكن أحدا لم ينبس بكلمة! ولما تجاوزنا الهرم المدرج متجهين وسط الصحراء عند الظهر برزت إلينا عصابة أخرى من الناس لم أكد أراهم حتى انبريت لهم ورمحي في يدي، فقد شككت أنهم من قطاع الطرق. ولكن الأميرة صاحت بى: تمهل .. فهؤلاء أصدقاؤنا. ولما تقدموا وركعوا أمام الأميرة يحيونها، نظرت إليّ وقالت: "يا سنوحي لقد بلغنا مأمننا، وتستطيع الآن أن تعود أدراجك! إن في وسعي أن أسوقك عبدا ذليلا كما ساقنا رجالكم من قبل، ولكني لا أجازي الإحسان بالإساءة، ولقد كنت لنا خادما أمينا، وأريدك أن تبلغ مليكك أنى سأعود قريبا، ولن أكون هذه المرة أسيرة، بل أميرة تتقدمني آلاف الرماح تكتسح السهول والبطاح، ولن أخطئ في ذلك اليوم خطئي بالأمس"..

تصاعد الدم إلى وجهي بعدما طرقت مسامعي هذه الكلمات وتملكتني دهشة هائلة كادت تفقدني صوابي. وغادرتُ وحدي وسط هذا الوادي فلم أستطع حِراكا، ومرت بي ساعة وأنا في هذه الحال ثم عدت متثاقلا موليا وجهي نحو الشرق أتعثر كأني أسير على غير هدى. ولم يزايلني الوجوم حتى اقتربت من العاصمة فإذا يونس يسير للقائي فقص عليّ وقصصتُ عليه كل شيء!

8. انقضت شهور طويلة على الحوادث التي سردتها وألفيت نفسى في مكان آخر على حافة الصحراء، كاد لي الدهر فأجاد، ونصب من الوهم شِراكا لصيدي

لولا رحمة الآلهة وعطف أميني لأوردتني الهلاك، ولكن أميني أبى أن يصدِّق أني ارتكبت خيانة أو إثما. فقد سردت له كل شيء دون زيادة أو نقص. فلم يتسرب لديه شك في لفظ مما نطقت. فإنه يعرف في أسرة سنوحي النجدة والولاء، وما كان لأحد أبنائها أن يتخلف حين تقصده أميرته التي كُلِّف برعايتها وطاعتها. أجل. إن أميني كان بي برًا رحيمًا. ولكن للأسف لم يكن هذا موقف الأمير سينو الذي لم يلبث أن هبط العاصمة وأقيمت من أجله الحفلات الضخمة.

حاولت مرارا أن أكتسب رضاه ولكن محاولاتي كلها باءت بالفشل، وأوشك حبل الأمل أن ينقطع. ثم ابتهجت إذ قدَّرتُ حينما سرنا معا لمحاربة الليبيين، لعل الفرصة أن تتاح لي في ميدان القتال، فأكتسب إعجاب الملك الشاب وحسن تقديره، ولكني هنا أيضا لم أكن أكثر حظا مني هناك!! أتراه يظن أن لي يدا في هرب الأمير آني؟ هو نفسه يعلم أنه لم يهرب بل التحق بأمه في الشمال، ويعلم أيضا أنه كان يجهل الدسائس التي كانت تدبرها زوجته الليبية؟ أم تراه يحقد عليّ لأني سمحت للأميرة الفاتنة بتسي أن تغادر أرض مصر في صحبة أختها وقد كان يمني النفس برؤيتها عقب عودته من أرض "واوات".. أم تراه قد أسرَّ إليه الواشون حديثا عن حبي لها وشغفي بها؟ وإن كان هذا هو الخطب فإن الداء عضال ولا يُشفِى منه غير مَرِّ السنين.

لم يعد لي سوى التلهي عن كل هذا بالحرب والقتال، خاصة أن الأميرة الليبية لم تقصّر في تنفيذ وعيدها؛ إذ لم يمض على فرارها بضعة أشهر حتى وردت الأنباء بأن الصحراء الغربية باتت كعش الزنابير دويا ونشاطا، ولا مفر من المبادرة بإرسال جيش كبير على الحدود الغربية.

لم يهدأ لأميني جفن فوصل الليل بالنهار كي يجند جيشا ضخما لم تشهد ربوع النيل له نظيرا! وتولى الملك الشاب قيادة هذا الجيش العظيم. وصاحَبَنا الملك مودعًا بضعة أميال، ولم يكتف بذلك، بل إنه بعد بضعة أيام أرسل مع رسول بوصية لولده يزوده فيها بعدة نصائح تنم عن خبرته وحكمته ليحفظ للملك الشاب قدره ومهابته، متأثرا من غير شكٍ بما حدث له مؤخرا. وأنهى وصيته بقوله: "أعرفك جبارا في الحرب لا ترحم نفسك، ولكن حياتك اليوم حياة أمة، فلا توردها مورد الهلاك، واعتمد على أعوانك.. وإن كنت مازلت في شك من أمر سنوحي فقلده قيادة الغارات الشاقة وجربه في المواقف الصعبة، فإن حمدت له بلاءه فأكرمه، وإلا فرده إلينا؛ فإن لأبيه علينا دَيْنا لا نستطيع أن نرده مهما أكرمنا أسرته وأحسنَّا إلى ذريته. والآن ترعاك الآلهة، وتسدد خطاك".

واستمرت الحرب عدة سنين قبل رحيل أميني، تراوح فيها بين أشهر الهجوم وأشهر الدفاع، وقد بلوت فيها بلاء حسنا فلقيت استحسان سينو إن لم أكتسب عطفه، إلى أن حل الشتاء الرابع والأخير من تلك الحرب فارتكبت عن نية وقصد ذنبا أحفظ الملك الشاب وأغضبه، واضطرني لمغادرة مصر إلى أرض الرطين.

ويمكث الملك الشاب معنا أشهر الهجوم ثم لا يلبث أن يجمع السبايا والغنائم ويذهب بها إلى مصر أشهر الدفاع موكلا القيادة إليَّ في ذلك الوقت. وحان وقت مجيء الجيش الكامل وعلى رأسه الملك الشاب، ولم أرد أن يجيء فيَرانا لم نفعل شيئا. فجمعت حولي رؤساء الكتائب وقلت لهم: أيرضيكم أن يأتي الملك فنقول له كنا ننتظرك بفارغ الصبر؟ فقال الجميع: لا. فأشرت عليهم بغارة شعواء نسطو بها على الأوطان البعيدة للطحين، ولا نعود إلا ومعنا أدلة تنطق

بأننا لم نقض الشتاء عبثا. فدبَّ النشاط فيهم. فشننا على الليبيين غارات سيتحدثون كثيرا بهوْلها، وجمعنا من أسلابهم ما يزيد على ما جمعه الجيش بكامل عدده وكتائبه! وبينما نحن فى أوج النصر، وقد جلست في خيمتي أتناول قدحا من الجعة وقت المساء إذا بغبار يتطاير، ثم يبدو من تحته طائفة من رجالي يقتادون سبايا يتعثرن بأذيالهن، فاشتد سُخطي على قائد تلك الكتيبة؛ لأني قد أصدرت أوامري بألا يشغلوا أنفسهم بجمع السبايا.. وهممت بمعاقبة ذلك القائد، ولكني نظرت فإذا في مقدمة السبايا وجه أعرفه، وهو وجه الأميرة بتسي لم تزده السنون إلا حُسنًا وفتنة..

9. انقضت أيام وليالٍ عذبة.. مرت سراعا فلا أعرف ما عِدَّتها. وأصبحت ذات يوم، فإذا الأنباء تترامى إليَّ بقرب قدوم جيشنا الجرار وعلى رأسه الملك الجبار سينوسرت. لابد مما ليس منه بد! وقد حلت الساعة التي لا مهرب منها، فلا مفر من عودة بتسي إلى قومها مهما يجلب عليّ هذا من سخط المليك وغضه، ولابد من المبادرة قبل فوات الأوان من وضع الأميرة حيث لا تصل إليها تلك الأيدى الملكية الجبارة، ولم أرد أن أوكل هذا الأمر إلى أحد، فنهضت في جنح الليل وقد هدأ المعسكر ونامت الكتيبة إلا الحرس الساهر، وقد تسللتُ والأميرة في هدوء وخفاء وغادرت المعسكر دون أن يحس بخروجنا أحد متجهين نحو الغرب حتى أبلغتُ الأميرة ووصيفاتها المكان الأمين، ورجعت أدراجي واجما كئيبا..

وصل الجيش الأعظم واتخذت كتيبتي مكانها غير بعيد عن معسكر الملك سينو. إنه من غير شك قد علم بما حدث. ولكنه أخفى ضميره عني. ولكنه عند قيادة حملة قوية لم يرض أن أصاحبه كما اعتدنا، بل طلب أن أراقب المعسكر

حتى يعود. وظل الملك على هذه الوتيرة يريد أن يفرغ من الحرب حتى يعود إلى جوار الملك الشيخ أميني.

ولكن وصلت إلى يدي رقعة من صديقي يونس يقول فيها: إن الملك أميني قد ارتقى إلى السماء وذهبت روحه إلى بارئها. إذن فقد ذهب عني الأمن والأمان.. ذهب الركن الذي كنت آوِي إليه. فصح عزمي من فوري إلى مغادرة مصر كلها. فسعيْتُ متخفيا نحو أرض الرطين (بلاد الشام). وقد حز في نفسى أن الإله المحبوب سينوسرت لم يكن في حقيقة الأمر حاقدا عليّ ولا ناقما، ولم يكن يبغضني ويحقرني، ولكن الوهم سوّل لي هذا كله. ولكن الأمر الذي أحفظه مني حقا هو هذا الهرب العجيب من غير سبب. وهو نفسه الأمر الذي قضيت السنين الطوال أسعى في الاعتذار عنه، وإزالة الآثار التي خلفها في نفس مليكي الإله الطيب سينو، حتى صفح عني وأذن لي بالعودة إلى وطني الحبيب. وهكذا يا أبنائي على مدى السنين والأحقاب، عاد جدكم سنوحي من غربته، وهذه قصة حياته بين أيديكم، فإذا ذكرتموه في الزمن المبهم البعيد فلا تنسوه من صلوات زكية ترفعونها باسمه إلى الألهة.

أسلوب شاعري ساحر:

رواية "سنوحي" كما ذكرنا قصة تاريخية سياسية صيغت بأسلوب شاعريّ، سهل العبارة، متدفق الإحساس، ولا غرو فإنها كُتِبَت بقلم عالم في الجغرافيا، أحب الشعر والأدب وجعل منهما هوايته، فنظم بعض الشعر، وله في الأدب بعض المؤلفات والمترجمات، وكثير من المقالات. ولهذا يتميز أسلوبه بالجزالة في غير تصنع، كما تتسم عباراته بالترسل والتدفق في غير تكلف كالنهر الرقراق

المنساب في سهولة وسلاسة ويسر، وفي عمق كبير في الوقت ذاته، ما يكسبه بُعْدا إنسانيا راقيا.

ثمة نماذج كثيرة مبثوثة في حنايا الرواية تشي بهذه الشاعرية؛ من ذلك مثلا هذه المقطوعة الغنائية التي أجراها المؤلف على لسان الشاعر الأكبر "يونس"، والتي سمعه "سنوحي" يهزج فيها بالعبارات الآتية:

أيا منزلا بالرغم مني نزلته،

وبالرغم مني عنه سوف أزولُ..

إذا لم تَطِبْ فيك الإقامة ساعةً

فما جزعي من أن يحين رحيل؟

ومنه أيضا وصفه لأميني أيْ أمنمحت الأول الذي وحَّدَ القطرين، وجمع بين التاجين على رأسه إشارة لهذه الوحدة:

يا جامع العرشين في واحدٍ ولابس التاجين في المحفلِ

الجغرافيا والأدب:

وقد أكسبه تخصصه في "الجغرافيا" . ومِن ثمَّ الوقوف على مصطلحاتها ومفرداتها . الكثير من الصدق والتوفيق، خاصة في وصف الأماكن والأشخاص والظروف والأحوال والملابسات المرتبطة بالرواية، لاسيما عندما يتعلق كل هذا بوقائع تاريخية، أو مواقع جغرافية، أو مواضع بيئية، وليس هذا بعجيب

فالجغرافيا والتاريخ والبيئة أبناء عمومة، والعلاقة بينها أظهر وأوضح من أن نؤكد عليها هنا. والوقوف على معلومات ومصطلحات هذه العلوم المرتبطة بالحياة بشكل عام يخدم كثيرا الأدب، ويُثرِي الوصف، ويرفده بالكلمات الدقيقة الدّالة بشكل يخدم النص. وقد جاء هذا التوافق والتلاؤم بصورة تلقائية وطبيعية طبقا لمؤهلات المؤلف من جهة، ولطبيعة الرواية من جهة ثانية. وانظر . مثلا . إلى الفقرة الآتية لترى مصداق ذلك:

"ثم غابت الشمس وأظلم الكون، واسودت السماء قليلا، فازداد الهلال لمعانا، وازدادت الزهرة توهجا وخفقانا. واستبد الهلال والكوكب بمُلْك السماء، حتى تخال أنهما يتزعمان الكون كله. فليس لنجم آخر ضياء يُرَى، ولا للأجرام ضياء يُحَس". (ص 83).

وانظر إليه . مثلا . حينما يستثمر معلوماته الجغرافية والفلكية ويستخدمها بحرفية وتقنية عالية في وصف موقف ما، أو ليدلل على وجهة نظر معينة حتى في المواقف العاطفية الدقيقة:

"قال صعب: إن سِحرَ هذا المنظر يرجع إلى الاقتراب الشديد بين جِرمَيْن لامعين، حتى ليوشكان أن يتعانقا، وهما لو تعانقا لبطل سحرهما، وضاعت روعتهما. لأن اختفاء الزهرة وراء القمر يسلب هذا المنظر نصف بهجته، وكل روعته. فسِرُّ الفتنة التي نشاهدها إذن، هو الاقتراب، دون الاقتران... وما أشبه هذا بسحر منظر الخطيبين الجميلين، قبل أن يفسده القِران". (ص 84).

والأمثلة على هذا كثيرة، متناثرة في مواضع متفرقة من الرواية، ومِنْ ثَمَّ لا حاجة لنا بإيراد المزيد منها.

من الأقوال المأثورة:

جاءت . عَرَضًا . في ثنايا الرواية مجموعة من العبارات التي تحمل معاني باقية على الزمان، مما يمكن أن نسميه أقوالا مأثورة، ومنها على سبيل المثال:

"الزمن كفيل بإبقاء الصالح واستئصال التافه (الطالح)" [11].

"من لم يقامر (يغامر) في الحياة اضطر لأن يقنع بالقشور دون اللباب، وبالورق دون الثمر، وبالأكواخ دون القصور"[12].

"من عادة النفس أن تعشق الإسراف (في الإطراء) وتهواه؛ لأن الحقيقة المجردة (وحدها) لا تشفي الغليل، ولا تروي الظمأ"[13].

"إن الدابة الحمقاء قد تفتك مع أنها لا تعقل؛ بل إنها تفتك لأنها لا تعقل"[14]!

"شر الدسائس ما نبت في دارك، تحت سمعك وبصرك، وأقتل السهام سهم جاءك من الجهة التي ظننتها أمنا وسلاما"[15].

"اعْجَبْ معي وتأملْ كم نعاني من الخيال! وكم تذهب سعادتُنا ضحية الأوهام"[16]!

من الصور البيانية والبلاغية:

ومن الصور البيانية البديعة التي وردت في الراوية، والتي تنم عن ذائقة جمالية باذخة الثراء، هذه الجملة البديعة التي يصور فيها د. عوض بقلمه حديث

سنوحي لنفسه عن مدى افتتانه بمليكة قلبه "بتسي" في قوله: "ولم أتحدث إليه (الشاعر يونس) عن شغفي بـ"بتسي"، ولعله كان مدركا لحقيقة حالي. ولكن كان (يونس) من الليّاقة بحيث لم يحاول أن يهتك السِّتر عن هيكل قلبي لكى يعرف المعشوق الذى تبوَّأ عرشه فيه"[17].

وبدلا من أن يقول: وفي الصباح بدأت الحركة والحياة في المدينة... نراه يقول: "في تلك اللحظة كان الظلام قد انهزم تماما، وقد احمرَّ وجه الأفق الشرقي. وأخذت المدينة تتحرك، وتدب فيها الحياة ..." [18].

ويقول المؤلف أيضا: "لم نلبث أن بلغنا الضفة الشرقية، وتسلقنا قليلا حتى وصلنا إلى ما سماه يونس "كوخا"، وهو دار صغيرة جميلة، ذات شرفةٍ وعُمُدٍ، إذا جلست فيها استطعت أن تقرأ الجو والمغرب والنيل، كأنها صفحات من سِفر جليل"[19].

التناص:

التناص Intertextuality أو التعالق النَّصِّي في الأدب هو مصطلح نقدي جديد نسبيا يُقصد به وجود تشابه بين نص وآخر أو بين عدة نصوص. وهو مصطلح صاغته جوليا كريستيفا Kristeva للإشارة إلى العلاقات المتبادلة بين نص معين ونصوص أخرى، وهي لا تعني تأثير نص في آخر أو تتبع المصادر التي استقى منها نص تضميناته من نصوص سابقة، بل تعني تفاعل أنظمة أسلوبية.

ويستشعر قارئ هذه الرواية التاريخية مدى تأثر كاتبها بالثقافة الإسلامية، بل وباللفظة القرآنية على نحو خاص حتى إنه قد يلجأ إلى اقتباس أو تناص بعض الجمل القرآنية المشحونة بمعان معينة حتى يؤكد ما يريد أن يبثه من معنى بشكل واضح لا لبس فيه، ولعلنا قد أشرنا آنفا أنه قد حفظ القرآن في سن مبكرة قبل حصوله على الشهادة الابتدائية.

ونستطيع بسهولة أن نلحظ هذه الظاهرة في بعض المواقع من هذا النص الأدبي بشكل طبيعي غير مُقحمٍ أو مُفتعل، وقد خدمت النصَّ ورفعت من قيمته بما تحمله من معان كثيرة مكثفة في كلمات قليلة دالة، وسنكتفي هنا بمثل أو اثنين من الأمثلة البارزة التي وردت في ثنايا الرواية والمُضَمَّنة في سياقاتها كما يلي:

. يذكر الكاتب: وفي مذكراته التي أوصاني بحفظها يقول: "إن شر الدواب في هذا العالم النبيل الشريف، الذى أخنى الدهر عليه، وسلبه أسباب نعمته، وهى الدعائم التي بنى عليها نبله وشرفه". (ص 10).

وموضع التناص هو قوله تعالى: "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ". الأنفال: 22.

في حين أن النبل والشرف . كما أوضح المؤلف في سرده بأسلوبه الخاص . لا يعتمدان على مثل هذه الأمور المتغيرة والأعراض الزائلة؛ ولذا يستعيد التصور ما لم يذكره المؤلف من عجز الآية المتضمن في قوله تعالى: "الصم البكم الذين لا يعقلون".

. ومن هذه الأمثلة أيضا ما جاء في ص 32 لوصف ما حلّ بالديار من أزمات: "لقد جف الزرع فأصبح هشيما تذروه الرياح".

ما يجعلنا نستحضر قوله تعالى فى الآية 44 من سورة الكهف: "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مقتدرا".

وبعد: فهذه رواية تاريخية فيها من المتعة بقدر ما فيها من الفائدة، حيث يفيد من قراءتها الشباب والكبار، والحكام والمحكومون، وفيها من أدب الحكمة ما يذكرنا بحكايات الفيلسوف الهندى بيدبا، وصياغة أديبنا التراثي الكبير عبد الله بن المقفع، وأعني بها قصص "كليلة ودمنة". أما بناؤها الدرامي فغاية في التماسك والانسجام، حيث يُمهِّد الكاتبُ بشكل تلقائي مُقنِع لأحداث الرواية بحيث تبدو وكأنها فيلم سينمائي على جانب كبير من السلاسة والدقة والحرفية في الإخراج والإنتاج. أما أشخاص الرواية فقد أبدع الكاتب في تصويرهم، ورسم صور نفسية لهم تتماشى مع سلوكهم، وما يأتون به وما يدَعون من تصرفات وأعمال وأقوال خلال هذه الرواية التاريخية.

وفي النهاية فهي درس مؤثر من دروس الوطنية، والتمسك بتراب الوطن، والتعلق بحبه، والشوق العارم إليه خاصة في فترات الابتعاد عنه، ومن ثم التمسك بالرجوع إليه مهما كانت التحديات والصعوبات.

خاتمة:

وبعد.. فقد رأينا كيف أن هذه القصة التاريخية أو الأدب التاريخي يمكن أن ترتفع طبقته الفنية ليأخذ بمجامع الألباب، وكيف أنه يمكن أن يأخذنا إلى منطقة لا يرتادها كثير من الأدباء، ولا يتسنى هذا إلا لأديب يتمتع بذائقة جمالية عالية، يحب وطنه، ويستغرق بكليته في تاريخه القديم ليخرج لنا عملا بهذه المواصفات الرائعة، ولعل هذا الرجل هو أفضل من يصدق عليه كلمة عميد الأدب العربى د. طه حسين حينما قال: "فمن الحق . إذن . أن الأدب ليس مقصورا على الذين يفرغون له، ويقفون حياتهم وجهودهم كلها عليه، وإنما هو شيء حر طلق، يستطيع أن يتجاوز أصحابه الذين أخلصوا له ذات نفوسهم، إلى المهندسين والأطباء، وأصحاب الفنون والعلوم المختلفة، إذا أتيح لهم أن يحبوا الجمال ويذوقوه، وأن يجمعوا إلى حب الجمال وذوقه القدرة على أن يمنحوه من أوقاتهم وجهودهم بين حين وحين ما ينبغي له"[20].

الهوامش والتعليقات:

(1) د. محمد عوض محمد (1943). سنوحي. العدد 12 من سلسلة "اقرأ". دار المعارف. مصر.

(2) محرم كمال (1998). الحكم والأمثال والنصائح عند قدماء المصريين. الطبعة الثانية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 7.

(3) د. سليم حسن (2000). موسوعة مصر القديمة: الأدب المصري القديم. الجزء 17. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص 31 . 46.

(4) د. نقولا زيادة (1994). عربيات: حضارة ولغة. المملكة المتحدة (UK). ص 26.

(5) نجيب محفوظ (1941). عودة سنوهي. مجلة "الثقافة"، عدد يوليو سنة 1941. ص ص 153 . 162.

(6) د. على جواد الطاهر (1977). وراء الأفق الأدبي: مقالات. منشورات وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية. العدد رقم 125 من سلسلة دراسات. العراق. ص 43.

(7) د. محمد عوض محمد (1956). لا يأس مع الحياة. فصل من كتاب: "هذا مذهبي". بإشراف د. طه حسين. سلسلة كتاب الهلال. دار الهلال. القاهرة. ص 31.

(8) كانت العادة في ذلك الوقت اعتبار الملك في الدولة المصرية القديمة إلها والنظر إليه باعتباره سليل الألهة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الزعم كثيرا، حينما ورد ذِكر فرعون موسى في ثنايا قصة موسى عليه السلام. وسينوسيرت هذا هو ابن أمنمحت الأول ووريث مُلكه.

(9) يشير الراوي هنا إلى عادة كُتّاب مصر القديمة حينما يزاولون مهنتهم (الكتابة)، وهو الشعار الذي اتخذته الهيئة المصرية العامة للكتاب، ليسمَ كل كتبها وإصداراتها.

(10) المصدر رقم (1)، ص 11.

(11) ص 8.

(12) ص 12.

(13) ص 23.

(14) ص 107.

(15) ص 122.

(16) ص 132.

(17) ص 69.

(18) الموضع نفسه.

(19) ص 82.

(20) د. طه حسين (2009). من: تقديم كتاب: المصري سنوحي. للكاتب الفنلندى مايكا وولتاري. ترجمة حامد القصبي. الطبعة الثانية. المركز القومى للترجمة. سلسلة ميراث الترجمة ، العدد 1400. القاهرة. ص 10.